أستاذ جامعي

بتنبي تحريف وراق

الاستاذ عبد المتعال الصعيدي

كان الشيخ فرج الله زكي الكردي طالب علم بالأزهر ، وقد بدا له أن يجمع إلى هذا الاشتغال بطبع الكتب الازهرية ونشرها فابتدع في ذلك بدعة جديدة : أن يجمع في نسخة واحدة عددا من الشروح والحواشي الموضوعة على المتن الأزهري ، ليسهل على الأزهريين الإلمام بجميع المباحث اللفظية في تلك الشروح والحواشي ، ويزيدوا في هذا على من سبقهم في عصر الطباعة وانتشار الكتب ، وسهولة اقتنائها على طلاب العلم

وقد بدا له في سنة ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ م أن يفعل هذا في متن التلخيص ، فجمع في نسخة واحدة عددا من شروحه وحواشيه ، وهو الذي يعرف في البيئة الازهرية بشروح التلخيص فوضع في صلبها شرح المختصر على متن التلخيص للسعد التفتازاني ، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب ، وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، وهي على هذا الترتيب في الصلب ، ثم وضع بالهامش الايضاح لتلخيص المفتاح ، وهو لصاحب متن التلخيص ، وقد جعله في أعلى الهامش ووضع حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني في أسفله ، وقد ميز بين هذه الشروح والحواشي بفواصل أفقية ، وعني رحمه تعالى بتصحيح هذه المجموعة ، وبوضع هذه الفواصل في كل صفحة منها ، في الطبعة الاولى ، واختار لها المطبعة الاميرية ببولاق زيادة في الاعتناء

فلما نفدت هذه الطبعة من هذه المجموعة أعيد طبعها بعد هذا في مطبعة السعادة الموجودة بجوار محافظة القاهرة ، ولكن الطبعة الجديدة لم تكن جيدة التصحيح كالطبعة الاولى ، فوقع بعض تحريفات فيها ونسي وضع الفواصل الأفقية بين شروحها وحواشيها في بعض صفحاتها ، وكان هذا سببا في التحريف الذي وقع في كتاب الايضاح ، وفيما لمن هذه القصة الظريفة التي يتبنى فيها استاذ جامعي ذلك التحريف ، فقد قررت دار العلوم وكلية الآداب وكلية اللغة العربية دراسة كتاب الايضاح في علم البلاغة ، فرأى حضرة محمد صبيح أفندي أن يقوم بطبعه منفصلا عن تلك المجموعة ، لأن تلك المعاهد تريد دراسته وحده ، وتريد أن تبعد طلابها عن شروح التلخيص وحواشيه ، ليتخلصوا في دراستهم العالية للبلاغة عن مماحكاتها اللفظية ، ويتربى فيهم شيء من الذوق والنقد البلاغي يعلو على هذه المماحكات ، وهذا الوراق الفاضل من أشهر المشتغلين بنشر الكتب في مصر لكنه يتساهل أحيانا فيختار لتصحيح ما ينشره من غير ذوي الدراية في التصحيح . فلما قام بطبع كتاب الايضاح اعتمد مصححه على النسخة الموجودة بأعلى هامش تلك المجموعة في طبعة مطبعة السعادة ، فلم يرجع في ذلك إلى نسخة خطية من الايضاح ، ولم يرجع إلى الطبعة الأولى لتلك المجموعة ، فلما وصل إلى آخر الكلام على وصف المسند اليه من الايضاح لم يجد فاصلا أفقيا بين الايضاح وحاشية الدسوقي ، وكان ما تحت الايضاح من هذه الحاشية في تلك الصفحة تتمة لتعليقة في الصفحة السابقة على شرح السعد فأضافها ذلك المصحح إلى كتاب الايضاح ، مع أن سياقه ينبو عنها ومع أنها لا تتصل بكلام في شرح السعد ، فلا تكون إلا من الحاشية الموضوعة عليه ، وقد تمت هذه الطبعة من الايضاح سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م ، وتناولها الطلاب والمدرسون فأثار هذا التحريف من المشاكل بينهم ما أثار ، حتى إني رأيت واحدا منهم يرجع إلى نسخة خطية من الايضاح في دار الكتب الملكية فلا يجد فيها هذه الزيادة الموجودة في الايضاح المطبوع ، فيضع

ضعفا ، ومن الحديث المعاد أن نطيل في إطرائه والثناء على مكانته ، ولكنا لا ننسى على أي حال أنه كان كثير التقليد لفحول النابغين . وآمل أن أوفق — أو يوفق غيري — إلى إيضاح التقليد والتجديد والتجديد في الشعر الحديث من لدن البارودي إلى وقتنا الحاضر ، لندرك ما أصابه من القوة ، وما بعد به عن الغاية المرجوة . والله وحده المسئول أن يأخذ بيد الشعر إلى أقوم طريق .

(واد مدني) أحمد أبو بكر ابراهيم
المدرس الأول بمنتوب

عليها تعليقا بخطه مرجحا فيه أن الزيادة التي في طبعة محمد صبيح أفندي من حاشية الدسوقي .

ولما كانت ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م قمت بوضع شرح على الايضاح ، وكان بين يدي من نسخه طبعة الكردي الأولى في أعلى هامش مجموعته ، وطبعة صبيح أفندي ، فلما وصلت إلى التحريف علمت أمره ، وحذفته من الايضاح في شرحي عليه ، وتوالى طبعه ثلاث مرات وأنا أحذف منه هذه الزيادة في ذلك الموضع ، وقد أعاد صبيح أفندي طبع الايضاح بعد أن نفدت طبعته الأولى ، فاعتمد على نسختي ، وحذف منه تلك الزيادة في موضعها ، إلى تحريفات كثيرة كانت في طبعته الأولى .

وأخيرا قام بعض مدرسي كلية اللغة العربية في هذا العام بوضع شرح على الايضاح ، فلما وصل إلى ذلك الموضع منه وقع أيضا في ذلك التحريف ، وهنا موضع الطرافة في هذه القصة ، لأن صاحب هـــذا التحريف وهو صبيح أفندي رجل وراق ، وليس مدرسا في كلية ، فلم يرشحه في أن يقع في ذلك الخطأ ، ولا في أن يرجع عنه بسهولة ، فيصححه في طبعته الجديدة ، أما تلميذه في ذلك التحريف فأستاذ مدرس في كلية ، لا في معهد ابتدائي أو ثانوي ، فلا يصح أن يسجل على نفسه مثل ذلك الخطأ ، ولا يصح أن يرجع عنه بالسهولة التي رجع بها ذلك الوراق ، بل يجب أن يتبناه لنفسه ، وأن يدافع عنه بما يليق بأستاذ جامعي .

والحقيقة أني استكثرت في أول الأمر مثل هذا على ذلك الأستاذ ، واعتراني الشك في خلو نسختي من هذه الزيادة التي تبلغ نحو سبعة أسطر ، وكنت قد نسيت بطول الزمن وقوع ذلك في طبعة صبيح أفندي القـــديمة ، فأعدت بحث ذلك من الناحية العلمية ، فوجدت سياق حاشية الدسوقي يحتم أنها منها . ولم اكتف بهذا بل أخذت أبحث في نسخة أخرى من شروح التلخيص غير نسختي ، فوجدت تلك النسخة التي لم تضع فاصلا في ذلك الموضع بين الايضاح وحاشية الدسوقي بمكتبة كلية اللغة العربية . ووجدت بعض من طالعها قام بوضع ذلك الفاصل في موضعه ، فعلمت من أين وقع ذلك الاستاذ في ذلك التحريف ، ونبهت على ذلك في كتابي — دراسة كتاب في البلاغة — ولكن فاتني أن أرجع أيضا إلى طبعة صبيح أفندي القديمة ، لتنتقل القصة من هذه الطرافة إلى طرافة أعجب منها ، ويعلم من بقي من زمننا القديم كيف يكون الاصرار على الخطأ في هذا الزمن الجـــديد .

فكان نسياني وقوع ذلك التحريف في طبعة صبيح القديمة فرصة سانحة لذلك الاستاذ ، ولا يصح أن يترك انتهازها وهو مدرس في كلية ، فطلب مني أن أطلع على تلك الزيادة فيها في ذلك الموضع ، وإن كان قد جعله في باب التعريف باللام لا في باب الوصف ، ولكنه يعرف أن طبعة صبيح ليست حجة في ذلك ولا سيما بعد رجوعه عنه في طبعته الجديدة ، فلا بد أن يضيف إلى ذلك نسخة خطية للايضاح في دار الكتب الملكية ، من غير أن يعين رقمها ، وهو ممن يعنى بتعيين أرقام المراجع ، لأنه يعرف غفلة الناس في هذا الزمن ، وسرعة تصديقهم لكل دعوى حتى صار العلم بيننا غريبا ذليلا لا يجد من يغار عليه ، أو يهمه تحقيق مثل هذا فيه ، ولكن كان على الاستاذ أن يعرف مع هذا أنه لا يزال في الناس من لم يصل في الغفلة إلى ذلك الحد . ومن يبعث الشك في نفسه عدم تعيين رقم تلك النسخة الخطية للايضاح في دار الكتب الملكية ، إذا لم يأخذ منه بيقين أنه لا يوجد فيها تلك النسخة .

وقد رجعت فعلا إلى نسخ الايضاح الخطية بدار الكتب الملكية ، فلم أجد فيها ذلك التحريف الذي أدعى وجوده فيها ذلك الاستاذ ، ولا يمكن أن توجد نسخة خطية للايضاح فيها ذلك التحريف ، لأن مصدره معروف وهو طبعة صبيح القديمة ، وسبب وقوعه فيها معروف وهو عدم وجود ذلك الفاصل بين الايضاح وحاشية الدسوقي في نسخة مطبعة السعادة من شروح التلخيص .

ولينظر بعد هذا صديقي الاستاذ عباس خضر في كتابي — دراسة كتاب في البلاغة — فسيجد بين ما فيه من مماحكات لفظية كنت مضطرا اليها كثيرا من مثل تلك القصة الطريفة وسيجد فيه مجالا لدعاباته العلمية البريئة ، كما يجـــد أن معركة القزويني لا تخلو من فوائد ، أقلها حمل بعض الناس على التدقيق في التأليف وتصحيح الكتب وإن كان لها مضار بين الطلاب من جهة ما وقع فيها من الاسفاف ، ولو كنت متصلا بالرسالة في